

مباحث في
التصوف والطرق الصوفية في ليبيا

تأليف
الدكتور : جمعة محمود الزريقي

تقديم الأستاذ الدكتور
علي نصمي خشير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين:-

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ ، الكهف : 28 - 29 .

وقال صلى الله عليه وسلم:-

{يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه، وإن اقترب إلى شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن اقترب إلي ذراعا، اقتربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة} رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، كتاب الذكر والدعاء، حديث رقم 2686. ورواه الإمام الترمذي في الجامع الصحيح، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أبواب الدعوات، حديث رقم 3673، كما رواه الإمام ابن ماجة في سننه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الأدب، حديث رقم 3822، وقال صلى الله عليه وسلم:-

فيما يرويه عن ربه أنه { قال: إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتاني مشيا أتيته هرولة } رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، ورواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب التوحيد.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من هم في مقام الإحسان، المتقربين إلى الله تعالى، المتصلين بحبله الذي لا ينقطع، المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، المتصفين بأداب النبوة، الزاهدين في ملاذ الدنيا وأعراضها الفانية، المتحلين بالأخلاق الفاضلة، المداومين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المتمسكين بالعروة الوثقى، الذين يعيشون مع الله وبالله وفي الله.

إلى أهل التصوف

المؤلف

طرابلس الغرب: الاثنين 2005/9/19م.

تقديم

تكتسب كلمة " مرابط " في الداريجة الليبية ، وهي كذلك في بقية أقطار المغرب العربي وإن بدرجة أقل ، جملة دلالات خاصة ، فهي تفيد ما تفيد كلمة " ولي " في المشرق العربي كما تعني - بتطور الدلالة - صفة الصلاح والصدق والاستقامة ، صفات المتصوفة وازدادت تطورا في دلالتها حتى صارت تدل مع ما مضى على الطيبة المفرطة حتى لتبلغ مبلغ حسن النية بل والسداجة وصفاء الطوية والأصل البعيد للكلمة من مادة (ربط) ومنها : الرباط ، أي الموقع الذي يصمد فيه المجاهدون في مواجهة الغزو الخارجي ، والمرابطون أي المجاهدون الثابتون في مواطن الدفاع في الثغور وعلى السواحل الإسلامية ، في ال شمال الأفريقي بصفة خاصة .

فلا عجب إذن أن نلاحظ على الشاطيء الليبي الممتد نحو ألفي كيلومتر العدد الكبير من قباب " المرابط " ، أي الأولياء الصالحين الذي لا ريب في أنهم كانوا ، مع تصوفهم ، من حماة الثغور الذين ربما استشهدوا في رباطهم ، أو توفاهم الله و هم ثابتون دفاعا عن أرض الإسلام .

ولعله من هنا كانت الصلة الوثيقة بين " الجهاد " بمعنى القتال في سبيل الله و " المجاهدة " وهي تعبير صوفي يرمي إلى السمو بالنفس عن متاع الحياة الدنيا وتخليصها من شوائب المادة الحسية .

لقد كانت البلاد الليبية منذ بداية الفتح مؤثلا للكثيرين من " المرابطين " الذين مزجوا ما بين الجهاد والمجاهدة ، إما قادمين من الشرق في سبيلهم إلى الغرب أو العكس . وقد استوطن عدد وفير منهم هذه البلاد في مواطن مختلفة وعاشوا بين ظهراني أهلها حتى توفاهم الله ودفنوا حيث أقاموا وصارت أضرحتهم مزارات معلومة مشهورة ، وظهر من أهل البلاد أنفسهم أفرادا وجماعات اتبعوا طريق الصوفية وصاروا من أهل تلك الطريقة وكانت لهم مساهماتهم العلمية والعملية في هذا الباب ، وإن لم ينل أغلبهم حضا من الشهرة والذبوع ما نالهم سواهم من السالكين .

وليس لأحد أن ينكر دور التصوف الديني والاجتماعي بل والسياسي في ليبيا ، وما أداه المتصوفة من خدمات ليس على المستوى المحلي فحسب وإنما خارج الحدود أيضا وعلى الأخص في أفريقية على تخوم الصحراء وفي أعماقها . ولقد كانت الزوايا الصوفية المنتشرة على طول البلاد وعرضها ملجأ مهما يلوذ به القوم للاجتماع بعضهم ببعض في عهد الاستعمار الإيطالي بالذات حين كان التجمهر محرما على الليبيين ، تحت ستار حلقات الذكر والحضرة والمدائح النبوية ، كما كانت هذه الزوايا - التي تدعى حينها كتاتيب وحينها جوامع - هي محل تحفيظ القرآن الكريم ثم دراسة العلوم الإسلامية من فقه ونحو وما إليها ، عندما حاول ذلك الاستعمار طمس الهوية العربية الإسلامية وطينة المجتمع الليبي بكل ما لديه من سطوة العسف والطغيان . ولا يطعن في هذا الدور ما اعتري بعض الطرق (التي تدعى في الدارجة الليبية " طوائف ") من خلل وما حاق بها من انحراف حولها عندما تولى أمرها الجهلة إلى ضرب من الدجل والشعوذة وانصرف بها عن طريق التصوف السديد ؛ فإن هذا ما يحدث عادة حينما تسود الجهالة أو تنعدم إمارة الإرشاد ومعالم السبيل .

ورغم ما كان للتصوف ، أو بتعبير أدق ما كان لأتباع الط رق الصوفية ، من أثر وتأثير في المجتمع الليبي على مر العصور ، ورغم بروز شخصيات وتيارات متنوعة متعددة ، فإن الاهتمام بتاريخ التصوف وأهله وتحليل دوافعه وأسبابه ونتائجه ، ودراسة مجاريه وتطوراته ظل زمنا طويلا بعيدا عن اهتمام الدارسين والباحثين إلا ما نذر ، حتى كادت معالمه أن تختفي ويعفى عليه الزمن . وتبع ذلك خسارة كبيرة في تسجيل إسهام القطر العربي الليبي في الحياة الثقافية والفكرية الإسلامية ؛ وذلك لارتباط التصوف والفقه ارتباطا وثيقا في فترات معينة من التاريخ الإسلامي حتى قيل إنه " لا فقه بدون تصوف ولا تصوف بدون فقه " .

من هنا تأتي أهمية كتاب الدكتور جمعة محمود الزريقي (مباحث في التصوف والطرق الصوفية في ليبيا) باعتباره مفتتحا لميادين واسعة من الدرس والتقصي وإضافة مهمة إلى البحث في التاريخ الفكري والاجتماعي للمجتمع الليبي ، في فترات ظلت غائمة الملامح غ ير محددة الرؤى لأسباب يدركها من ولج هذا الباب . ولقد جاءت هذه المباحث الجادة في وقتها ؛ إذ هي تكشف الغطاء بصورة دقيقة عن قضايا وشخصيات وإسهامات كثيرة تقدم زادا لمن يروم

متابعة ما طرحه المؤلف بصبر وأناة كبيرين . وقد جاء ما بين أيدينا من مباحث نتيجة سنوات من المشاركة في الوفير من الملتقيات العلمية أو نشر في الدوريات والمجلات الأكاديمية وهو ما يتطلب الحرص في البحث والدقة في التتبع والوضوح في العرض ، مع الرغبة في تقديم شيء جديد ذي أهمية في تاريخ مجتمعنا ونمط حياته الفكرية والدينية والثقافية . ولا ريب في أن القاري العام ، كما هو القاري المتخصص ، سيجد كلاهما بغيته في ما يلي من الصفحات أبارك للدكتور الزريقي جهده المشكور وأدعو له بالتوفيق كله لمزيد من العطاء المتجدد الجاد. الأستاذ الدكتور على فهمي خشيم

2007 / 3 / 26 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الطرق الصوفية الجديرة بأن تمجد وتجدد ، هي التي تذكي جذوة الروح في النفوس فتنجرد من شهواتها ، وتتنصر على أهوائها ، وتصحح لأتباعها معرفتهم بربهم الكريم ، ودينهم القويم ونبیهم المبعوث رحمة للعالمين ، ليكونوا كما كان على خلق عظيم فهو الأسوة الحسنة لجميع المسلمين ، ويواصلوا جهادهم الأكبر استعدادا للجهاد الأصغر في سبيل كلمة الله ، والدفاع عن أرض وطن ترتفع فيها راية الإسلام ، ويسمع فيها الأذان وتحترم حقوق الإنسان ، وتلتزم فهي أشباح لا أرواح فيها صور لا حقائق وراءها .-بشريعة القرآن _ إلا تكن كذلك

التصوف قوة روحية

- * طرق التصوف قوة روحية
- * في أمتي لو أدركت معناها
- * أقطابها الأبرار أتوا حكمة
- * قد جسدت لحياتزل مغزاهـا
- * صدقوا فكانوا في الوجود أئمة
- * يهدون من ضل الطريق وتاها
- * لو قيل لي صفهم لقلت مصدقا
- * إخوان صدق يذكرون الله
- * كل نراه كالجنيد زهاده
- * وعبادة وأمانة نرضاها
- * والحب حب الله حب عباده
- * هو غاية لا يؤثرن سواها
- * فأعجب لمن قد أنكروا أحوالهم
- * أحوالهم طابت فطاب شذاها
- * أمارة بالسوء بعض نفوسنا
- * ونفوسهم قد ألهمت تقواها
- * وقد ارتوت من نبع حب محمد
- * فسمت ونالت حظها ومناها
- * إن التصوف في الحياة محجة
- * مرضية طوبى لمن أحيأها
- * لكن إذا شاب الغلو طريقة
- * يخشى عليها أن يغيب سناها

لفضيلة الشيخ الأستاذ فاتح حواص

(1) وجدت هذه الخاطرة النظرية والشعرية منشورة في صحيفة الدعوة الإسلامية ، العدد 473 بتاريخ 4 رمضان الموافق 24 من شهر أي نار 1425 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنت الشاعر - جزاه الله عنها خيرا - في أن أدرجها في مقدمة كتابي عن التصوف ، فأذن لي بذلك مشكورا .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته

إلى يوم الدين ، وبعد ،،،

قال العارف بالله، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة 430 هـ - (1039م) في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، نقلاً عن بعض العلماء ، وقد سئل عن الصوفي فقال : لنفسه ذابح ، ولهواه فاضح ، ولعدوه جارح ، وللخلق ناصح ، دائم الوجع ، يحكم العمل ويبعد الأمل ، ويسد الخلل ، ويغضي عن الزلل ، عذره بضاعة ، وحزنه صناعة ، وعيشه قناعة ، بالحق عارف ، وعلى الباب عاكف ، وعن اللئلي عازف ، تربية بره ، وشجرة وده ، وراعي عهده . ص 1/23 .

قال الشيخ الحافظ أبو نعيم : مباني المتصوفة على أركان أربعة : معرفة الله تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة النفوس وشروورها ودواعيها، ومعرفة وساوس العدو ومكائده ومطالبه، ومعرفة الدنيا وغرورها وتفنيها وتلويها، وكيفية الاحتراز منها والتجافي عنها.

ثم ألزموا أنفسهم بعد توطئة هذه الأبنية: دوام المجاهدة، وشدة المكابدة، وحفظ الأوقات، واغتنام الطاعات، ومفارقة الراحة، والتلذذ بما أيدوا به من المطالعات، وصيانة ما خصوا به من الكرامات، لا عن المعاملات انقطعوا، ولا إلى التأويلات ركنوا، رغبوا عن العلائق، ورفضوا العوائق، وجعلوا الهموم هما واحداً، ومزايلة الأعراض طارفاً وتالداً، اقتدوا بالمهاجرين والأنصار، وفارقوا العروض والعقار، وآثروا البذل والإيثار، وهربوا بدينهم إلى الجبال والقفار، احترازاً من موامقة الأبصار، فه م الأتقياء الأخفياء، والغرباء النجباء، صحت عقيدتهم، فسلمت سريرتهم، ص 1/24 .

عزيزي القارئ لم أجد أفضل من هذه الكلمات التي قالها عالم جليل منذ عشرة قرون خلت ، فاقتبست بعضاً مما قاله في الصوفي والمتصوفة، واخترت له لتقديم هذا الكتاب الذي يضم بعض ما كتبت في مناسبات مختلفة حول التصوف والطرق الصوفية، رغم بضاعتي المزجاة، ولكنها محاولة للتعرف على محيط التصوف الواسع الأرجاء، ولا أعتقد الوصول إلى كل الحقائق التي تدور حول التصوف، وإنما غرفة من بحر، وغيض من فيض، وحسبي أنني حاولت البحث والغوص في تراث بلادي الصوفي

والله من وراء القصد

المؤلف: جمعة محمود الزريقي

طرابلس الغرب في العاشر شهر الفاتح (سبتمبر 2005 م).

فهرس كتاب
مباحث في التصوف والطرق الصوفية في ليبيا

رقم الصفحة	الموضوع	رقم مسلسل
2	الافتتاحية.	1 -
3	الإهداء.	2 -
4	تقديم الأستاذ الدكتور علي فهمي خشيم.	3 -
7	التصوف قوة روحية	4 -
8	تقديم مؤلف الكتاب	5 -
9	<u>المبحث الأول</u> : لمحة عن الفكر الصوفي في ليبيا (من كتاب حادي العقول).	6 -
28	<u>المبحث الثاني</u> : ملامح عن الطرق الصوفية في ليبيا.	7 -
65	<u>المبحث الثالث</u> : من أدبيات التصوف في ليبيا.	8 -
70	<u>المبحث الرابع</u> : مقدمة الشيخ زغوان في أحكام الولي.	9 -
75	<u>المبحث الخامس</u> : تخميس وتشطير القصيدة العينية للشيخ بن حمادي.	10 -
81	<u>المبحث السادس</u> : التلقين ودوره في التربية الصوفية.	11 -
91	<u>المبحث السابع</u> : حوار مع الشيخ العارف النيسابوري.	12 -
96	<u>المبحث الثامن</u> : دور التصوف في تنمية الشعور بالمسؤولية العامة.	13 -
107	<u>المبحث التاسع</u> : رحلة الشيخ محمد المسعودي الصيدي لتوثيق السند الصوفي.	14 -
115	<u>المبحث العاشر</u> : بين الفقهاء والمتصوفة. (نماذج من تاريخ الحركة الفكرية في ليبيا).	15 -
131	<u>المبحث الحادي عشر</u> : أسئلة وأجوبة عن التصوف (المجموعة الأولى).	16 -
145	<u>المبحث الثاني عشر</u> : أسئلة وأجوبة عن التصوف (المجموعة الثانية).	17 -
153	<u>فهرس الموضوعات.</u>	18 -